شعب بأكمله مسمّر على صليبه لكنه يزداد تحديا ومقاومة وتمسكا بقضيته

توفيق زياد:

...ما يلي نشر نص الخطاب ... القاه النائب الجبهوي ... رئيس بلدية الناصرة ... الدولي للمنظمات غير ... في جنيف الذي انعقد بين ... ايلول الجاري، نقلا عن ... "الاتحاد":

... ، ان الاحة بايجاب الامور

... الحدود ولكن المهم جدا ، الذي ... المؤتمر الدولي وبروزه كامر ... توصل الى حل للقضية الشرق ... يضمن السلام العادل والثابت ... المنطقة بعد ان اثبتت كل البدائل ... العسكرية والحلول الانفرادية ،

... وحدة م.ت.ف ، التي هي ... الفلسطيني ، كانت امرا خارق ... القضاله ولاجتذاب تأييد ... القضية العادلة ولقضية السلام ... نحو عقد المؤتمر الدولي.

... الشعب الفلسطيني وقضيته بنوا ... على صعوبات عدم الوحدة ... الثلاث الماضية ، واستعادة ... وجدنا ان القيادة الفلسطينية ... الحكمة والطاقة لقهر كل ... لتقرض الطريق . والتبثت ... الهام الذي باستطاعة اصدقاء ... الفلسطيني ان يؤدوه وبشكل خاص ... . كما ننبلي الاشارة الى ... الاتحاد السوفييتي في جهود ... ودعا وموقفه الداعم للسلام ... الشرق الاوسط.

... مخطط الصفقات الانفرادية ... سادية للفلسطينيين و ... المخطط الذي اطلق عليه اسم ... السلام الامريكية" ، او "مشروع ... الذي لم يكن غير استمرار ... كامب ديفيد التعيسة. ومع ذلك ... الدائمة للتمتع باليقظة التامة ... المتجددة للرفض مثل هذه

... التطورات الايجابية وقعت هذه ... التي اعلنت كصفقة للشعب ... لا يؤكد ان فئات منظماتنا ... ما للعقله والصهم في صلعه ... ، الامر الذي يعزز ثقتنا ... وخلف هذه التطورات ... ، يكمن ليس فقط الجهود ... ، بل ايضا ازدياد الوعي ... القومية للشعب الفلسطيني ، ... من الاحتلال وفي تقرير ... المستقل ، وازدياد الوعي ... الكريئة على الوضع القائم. ... رفضوا طيلة الوقت وما ... المؤتمر الدولي ، اصبح اليوم ... مواصلة رفضهم.

(٢)

اليوم اوضح من السابق ان العقبة الوحيدة امام عقد المؤتمر الدولي هي الموقف الاسرائيلي المدعوم من قبل الولايات المتحدة ، الامر الذي يعني ان اسرائيل هي دولة الرفض الوحيدة.

ان الصورة في اسرائيل هي على الوجه التالي:

حزب العمل ، احد الحزبين الاساسيين الحاكمين ، يعلن انه من اجل المؤتمر الدولي ولكنه في الوقت نفسه يفرغه من كل مضمون ، برفضه اشتراك الطرف الاساسي م.ت.ف وبوضعه شروطا مستحيلة امام اشتراك الاتحاد السوفييتي . انه يتحدث عن مؤتمر يكون "مظلة" او حفل "افتتاح" كما يعلن زعيمه السيد بيرس. اما اشتراك الفلسطينيين فيكون ضمن وفد اردني والمقصود ايضا فلسطينيين "مقبولون" على حكومة اسرائيل والملك الاردني والولايات المتحدة وهذا معناه ، عمليا، فلسطينيون يكون مضمونا سلفا انهم من النوع المعروف انه مستعد ان يوافق على تسوية تناقض المصالح القومية الاساسية للشعب الفلسطيني ولموقف قيادته م.ت.ف.

واما الحزب الاساسي الاخر ، الليكود ، فهو يرفض بتاتا فكرة المؤتمر الدولي ، مؤخرا يجري "الضغط" عليه ليقبل فكرة "مؤتمر منطقي" ثنائي مع الملك الهاشمي وباشراف الولايات المتحدة يتم فيه عقد اتفاق من النوع التعيس ، ثم يعقد المؤتمر الدولي كمؤتمر "اختتامي" مهمته مباركة هذه "الحقيقة الجاهزة" هذا هو مضمون زيارة السيد تشارلز هيل مبعوث وزير خارجية الولايات المتحدة الى اسرائيل ، في اواسط الشهر الماضي.

وواضح انه لا فرق بين مؤتمر "افتتاحي" او "اختتامي" ما دام القصد الحقيقي هو تجنب المؤتمر الدولي كما ينص عليه قرار هيئة الامم المتحدة.

وعليه ، فان الخلاف الاسرائيلي هو خلاف داخل الموقف الواحد ، خلاف في الشكل والتكتيك والصيغ وليس في الجوهر.

وواضح ان هذا الموقف الاسرائيلي الجوهري يلقى دعم الولايات المتحدة ، التي تتعامل مع الحكومة الاسرائيلية تعامل الصبي المدلل وتلعب معها لعبة الغميضة .. تفتش مع بيرس وتختبيء مع شمير.

(٣)

ان قرار هيئة الامم المتحدة حول المؤتمر الدولي هو شيء اخر بالمرة وهكذا فهمنا له. ليس "مظلة" ولا "افتتاح" او "اختتام" لصفقات انفرادية ، بل مؤتمر سلام حقيقي تشارك فيه كل اطراف النزاع بما في ذلك م.ت.ف على قدم المساواة ، والدول الكبرى ، ويتمتع بصلاحيات البت في القضايا المختلف عليها ، ويجري فيه التوصل الى حل يتلاءم مع المواثيق الدولية وقرارات هيئة الامم المتحدة ، ويضمن الحقوق القومية المعترف بها عالميا للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حق التحرر من الاحتلال ، وحق تقرير المصير والكيان الوطني المستقل ، وحق العودة.

ان احدا لا يعترض على اية مفاوضات ثنائية في اطار المؤتمر ، ولكن يجب ان تكون بموافقة الاطراف المعنية وتبحث في الامور العينية المرتبطة بالاطراف المتفاوضة ومن منطلق السيادة التامة لكل طرف.

وليس صدفة ان الطرف الوحيد من بين اطراف النزاع الذي يرفض هذا المؤتمر الدولي هو الطرف الاسرائيلي اي الطرف المحتل . وهذا يبرهن ان دافعه الحقيقي هو اطماعه الاقليمية التوسعية التي تشكل مضمون الاصرار الاسرائيلي على رفض الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ . ان حكومة اسرائيل ليست مستعدة ولا باي حال حتى لسلام مع الملك الاردني على اساس الانسحاب التام لهذه الحدود. ان الضم الاقليمي هو اجماع قومي بين الحزبين الكبيرين وعدد اخر من الاحزاب اليمينية والمتطرفة . ان برنامج حزب العمل "المعتدل" هو الحد الادنى لهذا الاجماع القومي . وهو مؤسس على ضم القدس الكبرى وجبال الخليل (يهودا) ووادي الاردن وقسم من قطاع غزة واجزاء اخرى ، اي مشروع يغال الون بشكل او باخر . وهذا يعني ضم ما يزيد عن ٥٠٪ من المناطق المحتلة . هذا هو ضم "الحد الادنى" اما الليكود واحزاب اخرى اصغر فهي تتمسك بالحد الاقصى وهو ضم كل المناطق المحتلة واقامة "اسرائيل الكبرى" . ان الحيرة المأساوية بالنسبة "لهامليت" الاسرائيلي تكمن في : ان تتوسع او لا تتوسع!

اننا نذكر تصريح موشه ديان منذ سنوات : "لا يوجد لاي جيل في اسرائيل الحق في ان يقرر حدود الجيل الذي يليه . كل جيل عليه ان يقرر هو حدوده".

ان حكومة اسرائيل بدعاة ضم الحد الادنى ودعاة الحد الاقصى مضطرة في المؤتمر الدولي ، ان تكشف هذه الاوراق الحقيقية وغيرها وتضع بذلك حدا للشكل الضبابي لعرضها للامور . ولذلك فهي تهرب من المؤتمر الدولي هروب الشيطان من الجنة.

(٤)

الموقف الاسرائيلي مدعوم تماما من الولايات المتحدة ، والقادة الاسرائيليون هم حليف استراتيجي ويضعون قوتهم العسكرية في خدمة مخططاتها العالمية وبشكل خاص في الشرق الاوسط، بهدف وضع المنطقة تحت الهيمنة التامة للولايات المتحدة مقابل تأييدها للاطماع التوسعية الاسرائيلية . ومن هنا هذه الشراكة الخطيرة اما السيد فيها فهو الولايات المتحدة.

اسمحوا لي ان اورد المقتطفات التالية عن "معريف"(١٨/٨/١٩٨٧) من مقال يهوشع بيتسور ، تحت العنوان :"عودة المندوب السامي":

نحن ، نعود كما يبدو لنصبح منطقة انتدابية ، الفارق الوحيد :نحن نستبدل ملكة بريطانيا برئيس الولايات المتحدة" - "نحن لا نتجرأ ان نعمل شيئا بدون "ضوء اخضر" من العم سام. اننا نتنفس جو سيطرة امريكية تامة . اننا نفقد مفهوم الاستقلال" . "الولايات المتحدة جالسة طيلة الوقت على الخط الاحمر الى القدس . المبعوثون والسفراء يأتون ويذهبون والرسائل هي في حكم الاوامر".

"اسرائيل هي المرساة الثابتة الوحيدة للولايات المتحدة في الشرق الاوسط. ونحن العنصر الثابت والوحيد الذي بامكانهم ان يعتمدوا عليه في كل حين دون ان يخيب املهم . وان الخدمات المخابراتية الضخمة التي تزود بها مخابرات الجيش الامريكي وال "سي.اي.ايه" لا يعادلها الذهب" . "القواعد العسكرية والمطارات ومخازن التزويد والمساعدة الطبية والاجهزة العلاجية التي نضعها تحت تصرف الاسطول السادس ، الذي يبحر في البحر الابيض المتوسط ، ومحطات بث اذاعة صوت امريكا لبلدان الشرق ، التي ستنطلق الان من النقب ، كل هذه الخدمات يزودها للولايات المتحدة شريكها الديموقراطي الوحيد في هذا الجزء من العالم . ويزودها بخدمات ايضا لا حصر لها من النوع الذي من المفضل الصمت بخصوصه. ان الامريكان لا يبذرون مالهم عبثا على اسرائيل الصغيرة".

النقطة المركزية في الصراع بين الحزبين هي في من يستطيع ان يكسب اكثر رضا الولايات المتحدة

وهذه الشراكة تمتد من اتفاقية التفاهم الاستراتيجي (الموقعة ١٩٨٢) الى المشاركة الاسرائيلية في برنامج حرب النجوم ، ومن التعاون في ايران - غيت وحرب الخليج الى دعم عصابات الكونتراس وامثالها . واذا حسبنا الحلف غير المكتوب مع جنوب افريقيا فاننا نقف امام محور ثلاثي عنصري معاد للانسانية ولاستقلال الشعوب وذي انياب حادة.

والخطر الكامن لهذه السياسة اكبر بكثير من الخطر الظاهر. هذا ما تؤكده مسألة "فعنونو" وصاروخ "اريحا٢"القادر على حمل رؤوس نووية الى مدى ١٥٠٠ كم. ان الولايات المتحدة تقف وراء تطوير هذا الصاروخ ووراء القرارات الاسرائيلية بخصوص السلاح الذري.

ان اسرائيل لا تحتاج الى كل هذه الطاقة العسكرية ولا الى السلاح الذري في الصراع مع الفلسطينيين والعرب،بل تهدف الى تهديد وابتزاز دول الشرق الاوسط وما هو اوسع من الشرق الاوسط. ومن يدري .. ربما ان هذه الطاقة العسكرية قد توجه ضد دول اخرى ، اوروبية غربية.

اما في التطبيق فحكومة اسرائيل تواصل ممارساتها العدوانية : احتلال اجزاء من الجنوب اللبناني ، واعمال القرصنة والغارات جوا وبرا وبحرا ضد لبنان ومخيمات اللاجئين . ان حربا عدوانية ضد سوريا لم تنزل بالمرة عن جدول الاعمال . وفقط في الشهر الماضي قدمت لجنة حكومية ، بعد دراسة سنتين ، تقريرا مضمونه اعداد اسرائيل للحرب القادمة وانتاج اسلحة انجع واشد دقة وتطورا واقامة مجلس امن قومي على غرار الولايات المتحدة ، كما ان القيادة الاسرائيلية تخطط لصنع قمر اصطناعي للاغراض العسكرية مع حلول السنة القادمة.

كل هذا لا يبشر بخير . اننا لا نستطيع ان نعرف اليوم ، الصورة المأساوية للمنطقة غدا اذا لم يوضع حد للوضع القائم المثقل بالاخطار المستقبلية المدمرة ، وذلك بحل ازمة الشرق الاوسط ، والتقدم نحو مؤتمر سلام دولي حقيقي.

واسمحوا لي ان اشير الى الرابطة الديناميكية بين الوضع في الشرق الاوسط والوضع العالمي . اننا نتطلع بأمل الى المباحثات بين الدولتين العظميين ، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، في مسألة الحد من السلاح الذري والصواريخ النووية - والى اجتماع غورباتشوف - ريغان المقبل وشولتز - شيفاردنادزه هذا الشهر. كل تقدم في هذه المباحثات وكل خطوة الى امام نحو تخفيف التوتر الدولي وتوطيد السلام العالمي ، من شأنه ان يقدم الحل العادل للقضية الفلسطينية ويقدم عقد المؤتمر الدولي ، لانه يخلق جوا عالميا مريحا اكثر لحل النزاعات الاقليمية وعلى رأسها الشرق الاوسط

(٥)

هذه هي السنة العشرون للاحتلال الاسرائيلي . ان الصورة هي شديدة القسوة والقمع الاحتلالي في الذروة : رقم خمسة الاف سجين هو رقم ثابت منذ سنوات في سجون الاحتلال . اما عدد الذين عبروا سجون الاحتلال خلال العشرين سنة فيتجاوز الـ ٢٥٠ الفا (اكثر من ٢٥٪ من عدد السكان واكثر من ٥٠٪ من البالغين) . هدم البيوت والاعتقالات الادارية وطرد القيادات مستمر. الجامعات والمعاهد والمدارس العليا تقفل باستمرار . الاعتداءات على المخيمات والمدن والقرى من الجيش المحتل وعصابات المستوطنين الفاشية السائبة جزء من الحياة اليومية ، وكذلك قتل المتظاهرين بمن فيهم اطفال بين العاشرة والعشرين ، وكذلك الاستيطان والاستيلاء على الارض ومصادر المياه وتدمير القاعدة الاقتصادية . هذا هو ما يميز "نوعية" الحياة التي "تتحسن" باستمرار في ظل الاحتلال . الخلاصة : شعب باكمله مسمر على صليبه داخل وطنه وخارج وطنه.

ولكن هذه السياسة تعطي نتائج عكسية تماما، فشعب المناطق المحتلة يزداد تحديا ومقاومة ويزداد تمسكا بقضيته وقيادته م.ت.ف الوحيدة والشرعية.

وفي الاشهر الاخيرة بدأ الحديث عما هو اخطر من ذلك كله من قبل وزراء واعضاء برلمان وقادة احزاب اسرائيليين : حل الـ "ترانسفير" ، اي طرد الفلسطينيين من وطنهم المحتل . انهم يستعملون حتى نفس الاصطلاح الذي استعمله النازيون ضد شعبهم في الاربعينات.

الحقيقة ان استعمال الاصطلاح نفسه هو الجديد،وخطورته الخاصة هي في النوايا الجدية التي يشير اليها ، اما عمليات الـ "الترانسفير" فقد وقعت سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧ وما بينهما وما بعدهما. في سنة ١٩٨٠ كشف رئيس المخابرات العسكرية السابق الجنرال اهرون يريف النقاب عن وجود مخطط لترحيل ٧٠٠ - ٨٠٠ الف فلسطيني ، وان الخطة جاهزة بما فيها سيارات التراك التي ستحملهم الى الحدود. والحديث يجري ايضا عن "ترانسفير" المواطنين العرب في دولة اسرائيل وليس المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ فحسب . ان شعار هذه الدعوة وهذه السياسة هو : كل فلسطين دولة يهودية نظيفة من العرب.

وواضح ان الـ "ترانسفير" لا يمكن تنفيذه بدون مجازر جماعية واسعة ، بالنسبة لها تكون مجازر دير ياسين وكفر قاسم واللد والرملة وغيرها ، لعب اطفال.

ولكن هذا كله هو وجه واحد لنفس قطعة النقد . اما الوجه الاخر فهو الاضرار البالغة التي توقعها هذه السياسة بالشعب الاسرائيلي نفسه الذي يدفع ثمنها من دم شبابه ولقمة خبزه ، ويقاسي اكثر فاكثر من التغيرات

البقية ص١١